الرمـوز التراثيــة في شعـر يهـود الأنــدلس

(نماذج مختارة)

دكتورة / وفاء محمود عبدالجليل الشناوي

مدرس الأدب العبري الوسيط بقسم اللغات الشرقية وآدابها

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الملخص باللغة العربية

الرمـوز التراثيــة في شعـر يهـود الأنــدلس
(نماذج مختارة)

استطاع الشعراء اليهود في الاندلس أن يختطـوا لأنفسـهم مسـارا شـعريا خاصـا، ويقدمون إضافات نوعية جديدة للشعر العبري في العصر الوسيط، لعل من أبرزها تعاملهم مع المـوروث، وتوظيفـه بآليـات عديـدة ليحققـوا بـذلك غـايتين متـداخلتين : أصـالة الانتمـاء، وابتكار الذات. وقد لفتت هذه الظاهرة نظري واســترعت انتبــاهي فقمــت باعــداد هــذه الدراســة. وقــد وقــع اختيــاري علــى هــذا الموضـوع ، استجابة لرغبتي في البحث في شعر يهود الأندلس وما يحمله بين طياته من مصـادر لتلـك الرمـوز التراثيـة، ولعـل أبرزهـا: الرمز الديني والادبي والتاريخي والشعبي.

واقتصرت دراستي على بعض النماذج الشعرية المختارة لأهم الشعراء اليهود الذين عاشوا في تلك الحقبة الزمنية المثمرة وهم : سليمان بن جبيرول ، شموئيل هناجيد, يهودا الـلاوي ، ابـراهيم بـن عـزرا. وتهـدف هـذه الدراسة إلى مقاربة هـذه الظاهرة في تجربة الشعراء اليهود في الأندلس .

Abstract

Summary Search symbols of heritage in the poetry of the Jews of Andalusia

Could poets Jews in Andalusia that Echttoa for themselves a special poetic path, and provide a new quality additions to the Hebrew poetry in the Middle Ages, perhaps most notably dealing with the legacy, and the mechanisms employed to achieve so many overlapping goals: originality of belonging , and self- innovation . It has been pointed out this phenomenon theoretical and drew my attention so I did prepare this study. The optional occurred on this subject , in response to my desire to search in the poetry of the Jews of Andalusia and the magnitude of the runs the sources of those symbols of heritage , most notably : the symbol of religious and literary , historical and popular . The limited studies on some models of poetry selected for the most important poets of the Jews who lived in that period of time they are fruitful : Suleiman bin Gvirol , Shmuel Henajad , Judea Levite , Ibrahim Ben Ezra . The aim of this study was to approach this phenomenon in the experience of poets Jews in Andalusia.

مقـــدمـــة:

كانت البيئة الأندلسية ميدانًا رحبًا ضم بين جنباته طوائف مجتمعية متعددة لعل أهمها و أنشطها فكريًّا بعد العرب كانت الطائفة اليهودية بمختلف انتمائها فكرًا و عقيدةً إلا أن هؤلاء اليهود كانوا يتحركون من خلال خيوط الفكر العربي الذي يحيط بهم من كل جانب ، وأضاف هذا الفكر إلى العقلية اليهودية نماذج أدبية وفكرية افتقروا إليها من قبل، وتشرّب اليهود عناصر هذا الفكر المختلفة وكعادتهم دائمًا أرادوا أن ينتهجوا نفس النهج العربي الذي كان دائمًا ما يلجأ إلى المأثور شعره أو نثره .

وتحت تأثير الثقافة والفكر العربي بدأ اليهود ينحون نفس المنحى العربي من خلال أشعارهم في محاولةٍ منهم أن يرتقوا بهذه الأشعار إلى المرتبة التي توازي ما وصل إليه الشعر العربي ، في محاولةٍ منهم أن يقدموا إضافات جديدة لأشعارهم في تلك الآونة بحيث تتضمن تلك الإضافات اللجوء إلى الموروث الثقافي والفكري لديهم والعمل على توظيفه بآليات لم يسبقوا إليها من قبل ، وذلك في محاولة لتحقيق غايتين ترتبط الواحدة بالأخرى وهما : التعبير عن أصالة الانتماء ، وابتكار الذات .

والمدقق فيما ذهب إليه شعراء اليهود ، وما انتهجه مفكروهم يجد أن هذا الاتجاه منهم ربما كان إعادة لتوجهاتهم نحو نظم الشعر العبري الأندلسي في بداياته حيث كانت أشعار العرب هي المعلم الأول لهم في نظم الشعر العبري الموزون بالأوزان والأطر العربية ، وقد اعترف اليهود أنفسهم بذلك . وإذا كان التراث الفكري بأنواعه المختلفة عالما استطاع الفكر العربي أن يعبّر عنه إما نثرا أو شعرا على نحو ما تتضمنه المؤلفات العربية الأولى بداية من القرن السابع والثامن الميلاديين كما تحدثنا كتب التراث العربي .

ونظرا لدخول الشعر العبري في معترك خاص به بمحاولة شعراء العبرية التعبير عن الموروث التراثي اليهودي وتضمينه أبيات النظم العبري فقد دفعني ذلك إلى محاولة تتبع شعراء اليهود في تعاملاتهم مع هذا الموروث ، والوقوف على تنوعه وتعدده ورموزه المختلفة والتي منها : الرمز الديني ، والأدبي والتاريخي ، والشعبي وذلك كله من خلال

الاطلاع على أهم أشعار شعراء النهضة العبرية التي تعارف عليها المؤرخون بالعصر الذهبي للشعر العبري الأندلسي ، أو كما يطلق عليه شعراء مرحلة الازدهار الشعري التي تعتبر أهم مرحلة شعرية عبرية عرفتها اليهود في العصر الوسيط (بدأها شموئيل هناجيد **שמואל הנגיד**) وانجبت هذد المرحلة فطاحل شعراء العبرية في الأندلس الذين وقع الاختيار على بعضهم كنماذج للتمثيل بأشعارهم إذ يتعذر متابعة كل شعراء هذه المرحلة التي امتدت ما يقرب من ثلاثة قرون واخترت نماذج من شعر كل من : (شموئيل هناجيد، سليمان بن جبيرول ، يهودا اللاوي ثم ختمت بابراهيم بن عزرا) . ويتلخص الهدف من هذه الدراسة للإشارة إلى :

أولاً : بيان مفهوم الرمز التراثي وكيفية توظيفه في النص الشعري .

ثانيًا : الوقوف على بعض من الرموز التراثية التي كان لها حضور ظاهر في أشعار يهود الأندلس في تلك المرحلة ، وكيف كان أسلوب توظيفها بحيث تجمع بين الماضي والحاضر بصورة أو بمفهوم جديد . وقد تتطلب ذلك أن نشير في عجالة إلى أمرين يتطلبهما البحث وهما :

أولاً :مفهوم الرمز التراثي:

يذكر المؤرخون والنقاد في تعريفهم للرمز التراثي بمعناه العام قولهم إنه :" الدلالة على ما وراء المعنى الظاهر ، مع اعتبار المعنى الظاهر مقصوداً أيضاً ".[١] " ويشير البعض إلى ذلك بعبارة أخرى بقوله إنه "عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس . [٢] " ويذهب البعض إلى محاولة التفصيل في تعريف هذا الرمز التراثي ، وتحديده بمعناه الدقيق بقوله إنه " يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تؤخذ قالباً للرمز، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز .[٣] "

---

[١] إحسان عباس : فن الشعر . ط١، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، ١٩٩٦ ، ص ٢٠٠ .

[٢] علي عشري زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة .دار الفصحى، القاهرة، ١٩٧٨ ، ص ١١١.

[٣] محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر . ط3 ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٠ .

ويبدو أن اللجوء إلى الرمز في الشعر يتطلب مواصفات خاصة حيث يرى البعض ضرورة توافر صفات في الشاعر منها ثقافة الشاعر من جهة ، وعمق نضجه الفكري من جهة أخرى ، وهذا يعني أنه لابد للشاعر الذي يرغب في توظيف الرمز في شعره من ثقافة وتجربة واسعة ؛ " لأن الرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً ." [٤]

وإذا كان المؤرخون ونقاد الأدب قد تعارفوا على الرمز الشعري وكيفية استخدامه ، فلابد من التعرف أيضا على المقصود من مفهوم التراث إذ تشير معظم المصادر والمراجع إلى أنه مفهوم غير مستقر بصورة واضحة لذلك تباينت وجهات النظر في تحد مفهوم التراث حيث تعددت دلالاته وتشعبت فهو؛ " تارة " الماضي " بكل بساطة. وتارة العقيدة الدينية نفسها وتارة الإسلام برمته، عقيدته وحضارته. وتارة" التاريخ بكل أبعاده ووجوهه.[٥]

غير أّننا نعني به كل ما وصل إلينا منذ القدم من عطاء متعدد المضامين دينية كانت أم أدبية وفكرية وثقافية و فنية، أم تراث أخلاقي وذلك للاستعانة به في المسيرة الحضارية للأمة بمراحلها المختلفة . وهذا يعني أن التراث ليس نصوصاً جامدة تُحفظ في مصادرنا القديمة، وليس" متحفاً للأفكار نفخر بها وننظر إليها بإعجاب، ونقف أمامها في انبهار وندعو العالم معنا للمشاهدة والسياحة الفكرية، بل هو نظرية للعمل، وموجه للسلوك، وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان وعلاقته بالأرض .[٦]

فالتراث إذا مصدر غني ينبغى للشاعر أن يأخذ منه ويلجأ إليه "من منطق التناص معه حين يستطيع من خلاله إذابة مضامين الموروث في بوتقة جديدة تصدر باسمه وباسم عصره، ومن هنا تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال مرورها في ذاكرة الشاعر، بل من خلال استقرارها لديه في لا وعيه لتظل جزءاً لا شعورياً، وهي–آنذاك –تظل ملكاً

---

[٤] عز الدين إسماعيل :الشعر العربي المعاصر :قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية .دار الثقافة , بيروت، ١٩٧٢ ، ص ١٨٩

[٥] فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى .ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥، ص ١٦ .

[٦] حسن حنفي التراث والتجديد .ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨ ، ص ١١.

له وحقاً مباحا .[٧] " إذ أن التعامل مع هذا الموروث يتلزم وعيا حقيقيا به وذلك لأن"الوعي بالتراث والوعي بالدور التاريخي هما القدمان اللتان يمشي بهما التراث، واللتان تقودان خطواته وتوجهانها، ولا يمكن أن تتحقق مسيرة بقدم واحدة، فالوعي بالتراث دون وعي بالدور التاريخي من شأنه أن ينتهي بهذا التراث إلى الجمود حيث تغيب كل الفعاليات اللازمة لاستمرار حيويته. [٨]"

ومن هذا المنطلق يمكن القول بإن توظيف الرمز التراثي في العمل الشعري يضفي عليه "عراقة و أصالة، ويمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاءه ، كما أّنه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول و الكلية؛ إذ يجعلها تتخطى حدود الزمان و المكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر . [٩] واستغلاله فيه ينبغي أن يخضع لمقاييس "أولها :أن تكون ثمة علاقة عضوية بينه وبين القصيدة، بأن تكون الحاجة إليه نابعة من داخل الموقف الشعري ذاته...وثانيها :أن يكون ثمة صلة سابقة من نوع ما بين المتلقي والرمز التراثي، بأن لا يكون غريباً عنه غربة مطلقة، حتى إذا ما ألمح إليه الشاعر أيقظ في وجدان المتلقي هالة من الذكريات والمعاني المرتبطة به [١٠] " وإذا حرص الشاعر على مثل تلك العلاقة المزدوجة بين التراث والقصيدة من ناحية، وبين التراث والمتلقي من ناحية أخرى؛ فإّنه سينجح في تجربته الشعرية، ويضفي عليها صفة الديمومة .ويمكن القول بلغة أخرى : إن الشاعر حين يستخدم رمزاً جديداً عليه " أن يخلق السياق الخاص الذي يناسب الرمز".[١١]

---

[٧] عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية :أنماط وتجارب .دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨ ، ص ٨٤.

[٨] عز الدين إسماعيل : توظيف التراث في المسرح"، فصول، المجلد الأول، العدد الأول، سنة ١٩٨٠ ص ١٦٧

[٩] على عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ١٢٨ .

[١٠] محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص ٣٢٣.

[١١] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر :قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص ٢٠٠.

ثانياً :الرموز التراثية في شعر يهود الأندلس:

لم يكن شعراء اليهود في الأندلس بعيدين عن تفهم تلك المعاني التي يوصى بها التراث وأدركوا أن هذا التفهم ما هو إلا وسيلة يمكن أن يلجأ إليها الشاعر كى يعبر من خلالها أو يعبر بها عن رؤياه لواقعه المعاصر . ومن هنا كان استدعاء الشعراء للشخصيات التراثية من العلامات الفنية البارزة في أشعار هؤلاء الأندلسيين بصورة خاصة ، بل وفي الأشعار عموما. إذ أن هذا الاستدعاء يشكل حضورا واسعا لدى أغلب شعراء تلك الفترة، بحيث نجدهم يضمنون العديد من قصائدهم بعض المضامين التراثية ، وفي سبيل تحقيق ذلك كله لجأ شعراء ذلك العصر إلى استخدام جملة من الرموز التراثية محاولين من خلالها تقديم صورة متكاملة لحالتهم الراهنة ، وانطلقوا من خلالها ليعبروا عن حاضرهم وتتعددت لديهم المصادر الغنية بالششخصيات والرموز التراثية التي كان خير عون لهم على التعبير عنها في أشعارهم ومن هنا نجد استخدام كثير من شعراءهم رموزا تراثية عديدة في مقدمتها:

١- الرمز الديني:

من الثابت ان يهود العصر الوسيط كانوا أكثر التصاقا باامورهم الدينية بحيث لم يغب عنهم كل ما يتعلق بتراثهم الديني ، ولذلك أكثر معظمهم من التلميح إلى كثير من القضايا أو الأحداث الدينية التراثية في أشعارهم واستعانوا في سبيل ذلك بالكثير من النصوص المقرائية، بل وهناك من لجأ أيضا إلى النصوص القرآنية إلى جانب سير الشخصيات الدينية حتى يدعموا تجربتهم ويجسدوها بشكل تام، ومن أمثلة ذلك ما نقرأه في أبيات الشاعر اليهودي إبراهيم بن مائير بن عزرا في قوله :

בְּחַסְדְּךָ דָּר עֲרָבוֹת / שַׂמַּח בְּגִיל הַלְּבָבוֹת

תֵּן טַל וּמָטָר לְהַשְׁתּוֹת / אֶרֶץ וְעוֹרֵר אַהֲבוֹת

בָּרֵךְ תְּבָרֵךְ תְּבוּאוֹת / וְתִמָּלֵא תבל תְּנוּבוֹת[١٢]

[١٢] ישראל לוין : שירת- הַקּוֹדש של אברהם אבן עזרא , כ،ב ، שיר איזור 454 . עמ׳ 546 .

بنعمتك ، يا ساكن العلى / شعرت القلوب بالبهجة

امنح الطل والمطر لسقاية / الأرض ، وأوقظ المحبة

بارك الزروع بركـــــــــة / و املأ الكون غلة

فالشاعر هنا يتخذ مما جاء في الأية القرآنية في سورة الزمر (آية ٢١) (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى ٱلأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلأَلْبَٰبِ) نقطة انطلاق لأحاسيسه وفكره . إذ يشير من خلال مفهومه لمضمون تلك الأية إلى ما حدث من أحداث عاشها وربما عاني منها معاناة شخصية خاصة خلال تلك الفترة بعد دخول الموحدين أرض الأندلس ، بعد ضعف المرابطين الذين دخلوا الأندلس ، الأمر الذي ترتب عليه هجرة بعض اليهود من موا طنهم وربما يرجع السبب وراء هذا الخروج إلى حنق المضطهدين [١٣] ، وقد ترك هذا الخروج في نفسه إحساسا مستمرا بالاغتراب والوحده في بلدان أوربا [١٤] " التي ذهب إليها الشاعر في فترة من فترات حياته وتنقلاته بين الأمصار والبلدان المختلفة .ولهذا فقد توجه الشاعر في تلك الأبيات إلى الخالق سبحانه وتعالى بالرجاء أن يفيض على الأرض بالخير والبركة ، موظفا المطر كرمز تراثي ينشد من خلاله العودة والخلاص . ولم يكن ابراهيم بن عزرا فقط من استمد رمزا تراثيا دينيا من خلال النصوص المقرائية إذ نقرأ ليهودا اللاوي السابق لابن عزرا قوله :

يقول يهودا اللاوي :

אָרְפָּא מְשׁוּבָתָם אֹהֲבֵם נְדָבָה[١٥]

---

[١٣] אהרון בן אור (א , אורינובסקי) : תולדות השירה העברית בימי – הביניים , הוצאת ספרים יזרעאל , ת– א ، 1954 ، עמ׳ 83 .

[١٤] ישראל לוין : אברהם אבן עזרא , חייו ושירתו , הוצאת הקיבוץ המאוחד ، 1976 ، עמ׳ 21 .

[١٥]– חיים בראדי : ספר כולל כל שירי אביר המשוררים יהודה בן שמואל הלוי , דיואן , שירי קדש , חברת מקיצי נרדמים ברלין , תר״ץ , ספר רביעי , עמ 21 .

سأشفي ارتدادهم وسأحبهم تكرّما

فهو ذا اللاوي هنا قد اتخذ من الفقرة الخامسة الاصحاح ١٤ من سفر هوشع ﴿אֶרְפָּא מְשׁוּבָתָם אוֹהֲבֵם נְדָבָה) أي سأقوم انحرافهم .سأحبهم كرماً ؛ نقطة انطلاق لشعوره وفكره، وركيزة فعالة في إثراء مضمون تجربته وتقويمها .إذ يشير من خلالها إلى تخلي اليهود عن دينهم واندماجهم في الشعوب الأخري ، تماماً كما تخلى قوم موسى– عليه السلام – عنه، وتركوه مع شقيقه يذهب إلى أرض كنعان , فإذا عدنا إلى إبراهيم بن عزرا مرة أخرى نجده يقول في إحدى موشحاته :

אלי לְפָנִים יְמִינְךָ רָמָה

הַבט לְבִנְךָ בְּכוֹרְךָ לָמָּה

נִמְכַּר לְעֶבֶד בִּיד הָאָמָה ؟

אַיֵּה דְּבָרְךָ בְּתוֹרָתְךָ אל : / כִּי לִי עֲבָדִים בְּנֵי ישראל ؟ . [١٦]

يا إلهي من قديم علت يمينك

لتنظر إلى إبنك بكرك ، لماذا

بيع عبدا في يد الأمَـة ؟

أين قولك في توراتك يا ربي : / أن بني اسرائيل عبيد لي " ؟

في هذه المرة اتخذ ابراهيم بن عزرا من الفقرة ٥٤ من سفر اللاويين الاصحاح ٢٥ (**כִּי–לִי בְנֵי–יִשְׂרָאֵל, עֲבָדִים––עֲבָדַי הֵם, אֲשֶׁר–הוֹצֵאתִי אוֹתָם מֵאֶרֶץ מִצְרָיִם**) (لأن بني اسرائيل عبيد لى فقد أخرجتهم من أرض مصر) ركيزة لإثراء تجربته فهو يشير إلى تخلي الرب عن نصرته هو بشكل خاص والتخلي عن أبناء طائفته من اليهود بشكل عام لذا فهو يذكره بعهده , وتوظيف النص التوراتي هنا رمزا لتحمل بني اسرائيل آلام المحنة وعذاباتها وتحمل ظلم فرعون لهم ، حتى حدثت

[١٦] **ישראל לוין : שם، כ , א ، שיר איזור 44 עמ״ ٧٨.**

المعجزة التي طال انتظارهم لها وأخرجهم الرب من أرض مصر ، فالشاعر هو الآخر سوف ينتظر آملا مهما طال الوقت إلى الخلاص المنتظر الذي ينتظره ، إذ عُرف عن اليهود عبر تاريخهم منذ القدم ظاهرة الاغتراب ، وكان مفهوم الاختيار الإلهي هو من أهم المفاهيم التي رسخت الشعور بالاغتراب لدى اليهود [١٧]،وقد ظهر هذا جليا في أبيات ابن عـزرا السابقة لذا فسوف ينتظر مهما طال الوقت حتى تحدث المعجزة ويرحل إلى مكان جديد يحقق فيه ذاته .

أما شموئيل هناجيد وهو يعد رائد مدرسة الازدهار الشعري في الأندلس وقدعاش قبل الشاعرين السابقين (٩٩٣ م – ١١٥٢ م) فقد اتخذ من النزعة الفلسفية التشاؤمية المميزة لسفر الجامعة والتي تعكسها عبارته المشهورة " **הבל הבלים הכל הבל** " " باطل الأباطيل الكل باطل " (سفر الجامعة ١: ٢) انطلاقة له ليعبر عن نزعته التشاؤمية فيقول :

בחי עולם בהֶבֶל יהלך איש עלַי אָרֶץ ולֹא יָבין הַבָלים

כְאלו הַכסילות סָגרָה על לִבָנו - ואיננו כסילים [١٨]

أقسمت بالله أن الانسان يسير إلى العدم على الأرض ولا يفهم الأباطيل

كأن الحماقة أطبقت على قلـــوبنـــا ولسنـــــا بحمقى

فقد سيطرت على الشاعر روح التشاؤم ورعب الفناء إذ نظم هذه الأبيات وهو في مرحلة الشيخوخة [١٩] ، وهي المرحلة التي يكاد الإنسان فيها أن يزهد في الحياة الدنيا، فيلجأ فيها غالبا إلي الاستكانة والخضوع ، وتدور معظم أفكار هذا الديوان حول نبذ متع الحياة الدنيا الزائلة والعمل من أجل الأخرة والتذكير بحقيقة الموت ، وشكوي

---

[١٧] محمد خليفة حسن : دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١٨٧ .

[١٨] **שמואל הנגיד : בן קהלת , מה״ש , אברמסון , ת״א , תש״ג , שיר פ .**

[١٩] **משה אבן עזרא : אלמצ׳רה ואלמד׳אכרה מתורגם לעברית מאת הלקין בשם ספר העיונים והדיונים , ירושלים , תשל״ה עמ׳ 62 .**

الزمن ، وتلك هي المعاني نفسها التي ترددت في العديد من نصوص العهد القديم ، لذا وظفها في شعره توظيفا جيدا داعيا الآخرين إلى سرعة التوبة والاستغفار واللجوء إلى الله .

أما الشخصيات الدينية وهي كثيرة نجدها في نصوص العهد القديم والتراث الديني اليهودي هذه الشخصيات لم تكن بعيدة عن عقلية وفكر شعراء يهود الأندلس استدعاها كثير منهم في أشعارهم صراحة أو رمزا وأقاموا روابط وثيقة بينهم ومن تلك الشخصيات التراثية شخصية :

أ- سليمان النبي – عليه السلام –تجدر الإشارة هنا إلى أن سليمان في الفكر الديني اليهودي هو شخصية ملكية بخلاف ما تعارف عليه الفكر الإسلامي، إذ يعتبر من وجه نظر هذا الفكر شخصية نبوية لا ملكية . هذا النبي عرف بأنه من رموز الحكمة لذلك عبر يهودا اللاوى عن هذه الرؤية عندما نظم تلك الأبيات قائلا :

וְהִנה רֶכֶב מַלְכָּה וְגֹאֲלָה / יוֹרֵד לְסִינַי מֵרוֹם זְבֻלָה

וְחַיִל מַלְאָכִים חֹפְפִים לְחֵילָה / ששים גִּבּרים סָבִיב לָהּ :

דְּגְלָה נִשָּׂא וְיָדָהּ רָמָה / כְּתַבְנִית מִשְׁכָּן יוֹם הוּקָמָה

וְכֹהֲנֵי אֲדֹנָי נִצְבוּ כְחוֹמָה / אֲחֻזֵי חֶרֶב מִלֶּמְדֵי מִלְחָמָה :

הִתְנַהֲלִי אַט דְּגוּלָה בְשִׁמוֹ / עַד תַּגִּיעִי אֶל- אוּלָמוֹ

אֶל- אַפִּרְיוֹן מִקְדַּשׁ הֲדוֹמוֹ / עָשָׂה לוֹ הַמֶּלֶךְ שְׁלֹמֹה : [٢٠]

وها هي مركبة ملكها ومنقذها / تهبط على سيناء من أعالي السماء

وجيش الملائكة تحوم حول جيشها / ستون بطلا من حولها:

رايتها مرفوعة ويدها عالية / كهيئة المسكن ساعة بنائه

---

[٢٠] חיים בראדי : ספר כולל כל שירי אביר המשוררים יהודה בן שמואל הלוי , דיואן , שירי קדש , חברת מקיצי נרדמים ברלין , תר״ץ , ספר שלישי , עמ׳ 106 .

وانتصبت كهنة الرب كسور / ممسكين سيوفا ومتعلمي الحرب:

سيري رويدا أيتها الموسومة باسمه / حتى تصلين إلى قاعته

إلى مظلة قدس موطئ – قدميه – / الذي صنعه له الملك سليمان :

إذا كان عصر سليمان – عليه السلام – قد عاشت فيه الطائفة اليهودية في عز وازدهار ومجد ، فإن يهودا اللاوي قد حلم هو الآخر بخلاص غير موجود ،وسينتظره طويلا كي يحمله إلى مكان جديد يحقق فيه ذاته وينشر فيه دعوته فسوف يتجلي الرب على جبل سيناء وينقذ شعبه المختار، وسيسخر جيشا من الملائكة لحمايتهم ،وأن كهنة الرب أنفسهم سيستلون سيوفا ويتعلمون فنون القتال من أجل الدفاع عن شعب الله المختار ، فقد استدعي اللاوي شخصية سليمان الملك رمزا للمجد الزائل والذي يحلم بعودته مرة أخرى .

ويقول سليمان بن جبيرول :

אָדְרס בְּעוֹדִי אחַפֵּש	כְּמִצוַת שְׁלמֹ֯֯֯֯ה זְקֵנִי
אוּלַי מְגַלֶּה עֲמקוּת	יְגַלֶּה חבוּנָה לעֵינִי
כִּי הִיא מְנָחִי לְבַדָּה	מִכָּל- עֲמָלִי וְהוֹנִי [21]
أتعلم طالما أبحث	كما صنع سليمان شيخي
ربما جلاء الأسرار	يكشف حكمة أمام عيني
لأنها حظي الوحيد	مـــــن كـل عملي وكـدي

تلك الأبيات من قصيدة نظمها ابن جبيرول في ولي نعمته يقوتئيل بن حسان الذي كان يشغل منصبا رفيعا في بلاط سرقسطه ، إلا أن الظروف قد أجبرت ابن جبيرول على مغادرة سرقسطة بعد أن تأزمت الأمور بينه وبين ولي نعمته يقوتئيل ، فأنشد هذه الأبيات

[21] שלמה אבן גבירול : שירי החול , חיים בראדי , חיים שירמן, ירושלים , 1874 , שיר 120 עמ' 67

تحسرا على الأيام الخوالي التي عاشها في كنفه ، ولم يجد ما يعينه ويواسيه في هذا الوقت سوى استحضار شخصية دينية تراثية هي شخصية سليمان النبي ، ويعلن أنه سيسير على نفس نهجه في البحث والتعلم حيث تنقشع أزمته . والجدير بالذكر أن كثيرا من الباحثين يعلقون على هذه القصيدة باعتبارها من القصائد التي تندرج تحت ما يعرف عن ابن جبيرول من الاصرار على العلم والسعى إلى بلوغ درجة عالية في التعلم والتثقف .

ب – النبي إلياهو :

حظيت شخصية النبي إيلياهو في الفكر اليهودي بدرجة كبيرة من الإهتمام نظرا لما عرف عن هذا النبي من جهد في سبيل خلاص بني إسرائيل ، وما عرف عنه أيضا من رؤية اعتبروها رؤية مستقبلية قادرة على إحداث معجزات لم تكن سائدة في المجتمع اليهودي . ولذلك لفتت هذه الشخصية التراثية أنظار شعراء يهود الأندلس وعبر الكثيرون منهم عنها نظما على نحو ما نجد في بيتي يهودا اللاوي الذي وظف هذه الشخصية كرمز للخلاص في الفكر الديني اليهودي حيث يقول :

יִדְעֵי מַכְאִיבִי אל־תִּתְמַהְמָהוּ מֵהָבִיא

צָרְרִי מִגִּלְעָד הוּא אֵלְיָהוּ הַנָּבִיא [٢٢]

يا من تعلمون حزني – لا تتعجبوا – من قدومي

فدوائي من جلعاد هو إلياهو النبي :

استمد اللاوي هذه الصورة من سفر أخبار الأيام الثاني ففي إحدى فقراته (أخبار الأيام الثاني ٢١ – ١٢) . نجد أن إيلياهو النبي هو الذي تنبأ فى أيام أخآب الملك، وقد وُصف عند بدء ظهوره بأنه إيليا التشبي من مستوطني جلعاد (١مل ١٧ : ١) ، وقد صعد في مركبة نار وخيل من نار إلي السماء (٢مل ٢ : ١–١١) وقد وردت أخر إشارة إلى إيليا في العهد القديم في ملوك (٤ :٥–٦) والتي تشير إلى أن عودة إلياهو النبي ستأتي مرة أخرى قبل مجئ يوم الخلاص .

[٢٢] براءدي : شم سفر رعياي עמ׳ 16 .

ج – صموئيل النبي ، يقول ابن جبيرول :

מִי זֹאת כמוֹ־שַחַר עוֹלָה וְנִשקפָה תאִיר כְמוֹ חַמָה בָרַה מאד יָפָה

אָנָה פְנוֹתֵך ، את ? והיום מאד פנה וְתבל ראי לולי אורֵך כְמוֹ עֵיפָה

לִראוֹת שְמוּאֵל הָרוֹאֶה אֲנִי עוֹלָה לִהיות לְביתוֹ וֹסבֶבֶת ומַקִיפָה

וַאֲזַי עֲנִיתִיהָ : אֵל־תלכי אל כִי אֹתו בְחיתֵך לֹא תִהְיִי צוֹפָה

כִי מֵת וְגַם יָרַד לִשאוֹל בְרב חֵשֶק כָלָה בְאַהֲבָתוֹ אֹתָך וְגֵם נִסְפָה

לפי אֶל־שְמוּאֵל שֶעָלָה בְאַרצֵנוּ כעלות שמואֵל בָרָמָה ובַמִצְפָה .[٢٣]

من هذه كالشفق تعلو وتلوح تبدو كقبس ظهر غاية في الجمال

إلى اين وجهتك والنهار قد تحول وانظري الدنيا – لولا نورك – لكان ظلام

لرؤية صموئيل الرائي إني أطير لأطير حول بيته فأحلق وأطوف

وعندئذ أجبتها لا تذهبي لأنك في حياتك لن تنظـــريه

مات وهوى إلى الهاوية في ظلام دامس ضنى بحبه لك فهلك

عودي إلى صموئيل الذي علا في أرضنا كعلو صموئيل في علو وشموخ

يبدأ ابن جبيرول قصيدته بالنسيب ولكنه رمزي فقد ربطه بصمويل النبي الذي ورد ذكره في العهد القديم ، وهناك سفران يحملان اسمه (صموئيل الاول – صموئيل الثاني) ، فقد تصور أن هناك حمامة تبحث عن صموئيل النبي ، فيدلها على صموئيل عصره الذي ملأ مكان صموئيل النبي حيث ارتقي بعلمه الي مكانته في اشارة منه الي صموئيل هناجيد فقد قام الناجيد في الاندلس مقام صموئيل النبي في اسرائيل وقت مجدها وعزتها فقد ربط بين المجدين بشكل رمزي .

[٢٣] שלמה אבן גבירול : שם , שיר 159 ، עמ׳ 98 .

د – يعقوب عليه السلام : رمز القوة والصلابة والرضا التام بقضاء الله بعد فقده لمن يحب فقد وجد ابن جبيرول في هذه الشخصية الدينية ما يتلاءم مع شخصيته الحزينة الصلبة المتماسكة رغم فقدها من تحب حيث يقول :

נָפַל בְּרוֹשׁ עַל בֵּין עֲבתִים גָּבְהָה קוֹמַת סְעַפּוֹתָיו אשֶׁר נִצְמְרוּ
נָפַל שְׁנַת תִּשְׁעִים וְתִשַׁע שַׂר גְּבִיר בִּידֵי מְרֵעִים אַחֲרָיו נִמְסָרוּ
יִגְדַּל לְעוֹלָם שֵׁם אֱלֹהֵי יַעֲקֹב כִּי מִשְׁפָּטַי צִדְקוֹ מְאֹד יָשָׁרוּ [٢٤]

سقط الصنوبر علي سفوح مدغلة بارتفاع أغصـانه التي تبعثـرت
سقط سنة تسعين وتسع سيد عظيم بأيدي اتباع من ورائه غدروه
ليعظم إلى الأبد اسم إله يعقوب لأن أحكام عدله قد استقامت

لقد جعل الشاعر من موت يقوتئيل رمزا تراثيا استشعره لرثاء شعب اسرائيل بكامله منذ أقدم أيام تاريخه .

٢– الرمز الأدبي:

ولعل من أهم الموروثات التى تعتبر من أوائل المصادر الأدبية التي استعان بها الشعراء ما يعرف بالموروث الأدبي وذلك لأن مسيرة اليهود الأدبية في الأندلس في العصر الوسيط كانت تهدف باستمرار ما تتضمنه الموروثات التراثية الأدبية لانها كانت تثرى تجاربهم الشعرية بصفة خاصة ، فالشعر كان الرافد الأدبي الأول لدى يهود العصر الوسيط ، بداية مما كان يسمى بمرحلة الريادة الشعرية التي أجمع نقاد ومؤرخو الأدب العبري أنها المرحلة التي انطلق منها شعراء العبرية الأوائل الأمر الذي كان من نتائجه ظهور شعراء العصر الذهبي بعد أن تطور انتاجهم الشعري وانطلق في محاولة منهم للحاق بركب الشعر العربي وخلف ذلك كله ما تضمن ما نسميه الموروث الأدبي وهو من المصادر التراثية الغنية التي تُثري تجارب الشعراء " ومن الطبيعي أن تكون شخصيات

[٢٤] שלמה אבן גבירול : שם , שיר 194 ، עמ' 117.

الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم؛ لأّنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها، وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كلّ عصر .[٢٥] "وقد اهتم الشعراء اليهود في الأندلس كغيرهم من الشعراء العرب المعاصرين لهم بعدد من الشعراء القدامى، وحاولوا أن يستدعو شخصياتهم ويتقمصونها ليعبروا من خلالها وبها عن رؤياهم لحاضرهم. وهذا الأمر ليس بالهين اليسير؛لأ ن تلك الشخصيات "تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية،وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان وفي المكان وثمة آليات كثيرة يلجأ الشعراء إليها في استدعاء الشخصيات التراثية في نصوصهم الشعرية المختلفة :كآلية العلم بأقسامه المختلفة اسم مباشر /كنية /لقب ،وآلية الدور التي تتمثل في استدعاء الشخصية التراثية من خلال ذكر أفعالها الدالة فقط، دون التصريح باسمها في سياق القصيدة، وآلية القول التي تتمثل في استدعاءالشخصية التراثية من خلال ذكر أقوالها فقط، دون تصريح باسمها في سياق قصيدة .[٢٦]

ولعلّ أبرز الشخصيات الأدبية التي استدعاها الشعراء اليهود في شعرهم ، ووظفوها توظيفاً جديداً شخصية دوناش بن لبرط رائد التجديد والتطوير الشامل في الشعر العبري الذي قلب موازين النظم لدي شعراء العبرية في الأندلس ، فنرى ابن جبيرول وقد وظف هذه الشخصية الأدبية توظيفا جيدا في شعره و التي رأى أّنها تتشابه في تجربتها الحياتية مع تجربته .فكلتاهما تبحث عن مجد ضائع مسلوب، وتستنصر الآخرين لمساعدتها .وقداستدعى ابن جبيرول هذه الشخصية بكامل أبعادها لتدل على الشخصية الساعية وراء العطاء، المطالبة بحقها في العطاء،والتي تريد العيش بأية وسيلة تريد إرجاعه وقد تم ذلك بآلية العلم فيقول :

---

[٢٥] علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار الفكر ، العربي، القاهرة، ١٩٩٧ ، ص ١٣٨ .

[٢٦] أحمد مجاهد : أشكال التناص الشعري : دراسة في توظيف الشخصيات التراثية , ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٩٨ ، ص ٨ .

שמואל : מת בנו לברט ועמדת עלי כנו

וכלינו מאוד אליו ואולם הנך הנו[27]

شموئيل : مات ابن لبرط وأخذت أنت مكانه

لقد اشتقنا كثيرا إليه غير أنك صورة له

أنشد ابن جبيرول هذه الأبيات عند اضطراره لمغادرة غرناطة حيث كان يعيش في كنف الناجيد قبل تأزم الأمور بينهما واضطراره لمغادرة مملكة غرناطه .

ومن أمثلة الاستدعاء بآلية الدور قول ابراهيم بن عزرا مستدعيا شخصية الحبر سليمان بن اسحق أو راشي الذي عاش في فرنسا في القرن الحادي عشر الميلادي فيقول :

אור כל סומא בו כל צמא נופת מימי מתקו שתה

פרוש נורא שם לתורה על כן נקרא פרשן־דתא[28]

نور كل ضرير به كل ظمآن ارتشف شهدا من فيض لذته .

وضع للتوراة تفسيرا مهولا لذا دُعي مفسر الشريعـــة .

فالشاعر يشيد بالدور الذي قام به العلامة اليهودي الراحل رشي وان كان قد رحل فإن مؤلفاته وأعماله ملاذا آمنا يلجا إليه كل سائل راغب في التبحر في الشريعة .

ومن أمثلة الاستدعاء بآلية القول : قول يهودا اللاوي:

אֶת לְשוֹנִי שְׁמֹר ומִבְטָא שְׂפָתַי / מֵחָטוֹא לָךְ וְשִׂים לְמִישׁוֹר נְתִיבִי [29]

لتحفظ لساني وتعبير شفتاي / من الخطأ في حقك وقوّم طريقي .

---

[27] **חיים שירמן : השירה העבר ית בספרד ובפרובנס ,כרך 1 , דביר, תלאביב , 1954, עמ׳ 204.**

[28] **דוד כהנא : קובץ חכמת הראב , הוצאת קדם , ירושלים , 1971 ، שיר " לד , עמ׳ 95 .**

[29] **בראדי : שם ספר רביעי עמ׳ 273 .**

فيّتخذ اللاوي من دعوة ابن جبيرول

מְאוֹר עֵינַי נְצֹר וּשְׁמֹר לְשׁוֹנִי / וְאִם אֶשְׁגֶּה לְפָנֶיךָ סְלָחָה [30]

لتحفظ نور عيني وتصون لساني / عفوا إن أخطأت أمامك

فقد اعجب اللاوي بفكرة الدعاء والتضرع الي الله بأن يحفظ لسانه من الخطأ كما دعا اليها ابن جبيرول الذي يعد على قمة الشعر الديني اليهودي في الأندلس " فقد وصل به إلى مرحلة لم يعهدها أو يعرفها من قبل حيث ضمنه مفاهيم فكرية لم يعهدها اليهود من قبل إلا من خلال الكتابات النثرية والأدبية التى سادت في زمنه " . [31]ولذا نجد العديد من الشعراء المعاصرين له واللاحقين قد تأثروا به .

٣- الرمز التاريخي:

للأحداث التاريخية أهمية بارزة عند الشعراء اليهود في الأندلس، إذ يلجأون إلى توظيفها عندما يجدون أن ثمة علاقة تشابه بين ما يحدث في عصرهم وما سبق أن حدث في تاريخهم ، فيتخذونها قناعاً يجسدون به معاناتهم. من تلك الأحداث الهامة في حياتهم حادثة الخروج والتي وقف فيها الرب إلى جانبهم ، وسمع معاناتهم ، فأنقذهم من معذبيهم ، فهي رمز للخلاص من أنظمة الفساد والاستعباد في المعتقد الديني اليهودي . وقد استدعى شموئيل الناجيد هذه الحادثة في قصيدته المعنونة بـ"**שירה** " وهي من أولى قصائده الملحمية وهويصف فيه معركته مع أعدائه ، حيث يقول :

ואל שמע תפלתי , בקראי — כמו חולה כמבכירה מצרה

ונשף בם כיום ים סוף וספו — בסופתו והראם הגבורה

ואש מוות אכלתם ותמו — כמו עצים בתנור חם וכירה[32]

---

[30] **דב ירדן : שירי הקדש לרבי שלמה כרך שני רשות מס146נית בתוספות ותקונים , ירושלים , תשמ , עמ׳ 470 .**

[31] **שירמן: השירה העברית בספרד ובפרובאנס , ספר ראשון ,חלק א עמ׳ 90 .**

[32] **דב ירדן : דיואן שמואל הנגיד . בן תהלים . ירושלים . תשכ״ן ، עמ׳ 5.**

واستمع الرب لصلاتي حين ناديته كما يناديه المريض والحامل من الألم

فأهلكهم كيوم البحر فانتهوا بعاصفته وأراهم قدراته

وأكلتهم نيران الموت وأصبحوا كأخشاب في لهيب تنور وموقد

نرى ابن الناجيد في البيت الثاني وقد شبه هزيمته لأعداءه بهزيمة فرعون في البحر عند خروج بني اسرائيل من مصر بقيادة سيدنا موسي عليه السلام .ففرعون وجنوده كانوا يطاردون بني اسرائيل فأغرقهم الله في البحر وهكذا فعل الله تعالي بأعداء اليهود اليوم . وتعتبر هذه القصيدة من أهم قصائد الشعر الملحمي عند الناجيد والتي سجل فيها ذكرياته الحربية واشتباكاته العسكرية مع أعداء مملكة غرناطة وفي مقدمتها تلك المعارك التي خاضها ضد ابن عباس إذ كان الناجيد يؤمن أن معركته مع زهير بن عباس إنما هى معركة الطائفة اليهودية كلها ، وليست معركة مملكة غرناطه وزهير بن عباس.

ويقول يهودا اللاوي :

קוּמָה אֲדֹנִי וְיָפֻצוּ שׂוֹנְאָי

וְשׁוּב אֶל־ מְעוֹנִי אל־הֵיכָל לִפְנֵי

וּגְלֵה לְעֵינַי כְּבוֹדְךָ כְּמַסֵּינִי[٣٣]

قم يا رب / وشتت أعدائي

وعد إلى ملاجئي / إلى الهيكل أمامي

وأرني عظمتك كما حدث في سيناء

على الرغم من أن يهودا اللاوي قد عاش في الأندلس حياة رغد واستقرار كما شهد بذلك اليهود أنفسهم بأنه "كان يعيش في سعادة وفرح في الأندلس المشرق "[٣٤] ، إلا أننا نراه يصف المسلمين بالأعداء ويتحسر على أحوال اليهود في عصره ويشبهها

[٣٣] براءدي : שירי קדש , ספר רביעי , עמ' 67 .

[٣٤] אורנובסקי א, : תולדות השירה העברית בימי הביניים , ספר ראשון , עמ' 54 .

ضمنا بأيام القهر والاستعباد في أيام فرعون فقد جنح خيال الشاعر به عن جادة الصواب وبالغ في تصوير غربته مرددا شعارات وألفاظ استمدها من التاريخ اليهودي القديم ، فقد وظف الحدث التاريخي كرمز يعبر به عن معاناة حاضره وإن كانت هذه المعاناة ليس لها وجود إلا في ضمير وعقل الشاعر وحده .

وفي شاهد آخر يقول اللاوي أيضا :

בן־המלך לָמָה	תחת יד לחץ ורֹעַק
נע ונד על ־פְּני אֲדמה	ובת־אדום שכבת בחיק ?
הוא יבכה ובן־ הָאָמָה	המְצְרית נגדו מצחק [35]

لماذا يصبح سليل الملوك / تحت ضغط و إبعاد

هائم تائه على وجه البسيطة / وتنام ابنة أدوم في الأحضان

هو يبكي وابن الأَمَـــــة / المصرية أمامه يضحك

يبكي اللاوي حاضره وما آل إليه حاله ويقارن بين ماضيه العريق وحاضره التعس بعد أن سيطرت عليه موجة من الجحود وطمس الحقائق فهو يصور حياة اليهود في الأندلس وكأنها سلسلة من المتاعب وها هو الآن يصور حكم المسيحين في فلسطين واذلالهم لليهود إبان الحروب الصليبية بل وشماتة المصريين واغتباطهم لما يحدث لهم بكثير من المبالغة واستخدم من التراث ما يتناسب مع طبيعته ،وما يريد أن يعبر عنه حتى ولو كان مخالفا الواقع اليهودي في تلك الفترة الزمنية التي عبر عنها اللاوي من قبل بأنها نعيم يخشى أن يفقده .

ونري ابن جبيرول وقد و ظف حادثة السبي كرمز للمعاناة والألم اليهودي وأيضا كرمز للتحدي والحرية في المعتقد الديني اليهودي فيقول :

---

[35] براءدי : שירי קדש , ספר שלישי , עמ׳ 155 .

שדודים נדודים	**לציון תקבוץ**
מכורים בלי הון	**תשובב למרבץ**
השב עבודת	**לובשי תשבץ**
השב גרושה	**לנחלה ירושה**
ופקוד אנושה	**ביד צר ענושה** [٣٦]
مسلوبون مشردون	في صهيون نتجمع
مباعون بلا ثمن	نشقى من أجل عرين
أعد عمـــل	لابس النسيج
أعد للطريدة	أرث مورثهـا
وارحم معذّبة	بيد الضر عوقبت

حاول ابن جبيرول في هذه القصيدة أن يظهر وضع طائفته اليهوديه عبر الزمان مشردة مسبية تحلم بالعوده إلى أرضها . فالشاعر يصرخ في وجه المدائن من حوله وهو يعتصر ألماً ؛ لأن أهلها قد تقاعسوا عن إدراك مجدهم التليد، وإعادة وطنهم المسلوب .ويجب أن نتوقف عند هذه الأبيات فابن جبيرول شاعر لم ينبذه إلا قومه ، ولم يبتعد عنه إلا أبناء طائفته ، فكيف له أن يوجه هذه الدعوة ؟ فقد عاش اليهود في الأندلس الاسلامية أزهي فتراتهم وهذا بشهادة اليهود أنفسهم ، فقد كانت هذه الأبيات دعوة لخلاصه هو ذاته من عزلته بين أبناء طائفته [٣٧]، واستخدم التراث كرمز لمعاناته هو الشخصية وجعل منها رمزا لمعاناة الطائفة اليهودية جمعاء وجاءت الصورة مستوحاة من التراث اليهودي القديم إمعانا منه في أن يجعل من نفسه مسئولا عن الجميع .

---

[٣٦] **שלמה בן גבירול : שירי שלמה בן גבירול ، כרך שני . שירי קופס . הוצאת דביר ،ת״א ، תרפ״ה، עמ׳ 5 .**

[٣٧] عبد الرازق أحمد قنديل : شعراء العبرية في الأندلس ج١ ، ٢٠٠٨م ، ١٦٨ .

واستكمالا لهذه النزعة اليهودية العنصرية يقول ابن حبيرول :

שבייה ענייה	**בארץ נכרייה**
לקוחה לאמה	**לאמה מצרייה**
מיום עזבתה	**לך היא צופייה**[٣٨]
أسيرة ذليلة	في أرض غريبة
سبيت كجارية	لجارية مصرية
من يوم أن هجرتها	وهي إليك تتطلع

فابن جبيرول في تلك القصيدة يتحدث عن تلك الأسيرة التي وجدت في أرض غريبة ووصل بها الحال أن سبيت واستعبدت في تلك البلاد الغريبة عنها وكأنها جارية وقد وظف ابن جبيرول لفظة الأمة ويقصد بها اسرائيل عامة والطائفة اليهودية في الأندلس بصفة خاصة وكان لها حضورا عاما في القصيدة فهي رمز ثقافي ديني عام، يشير إلى العفة والنقاء، وإلى الصلابة والقوة في مواجهة الأعداء ولذا يتضرع إلى الرب إله بني إسرائيل أن يحررها ويفك أغلال العبودية التي تقيدها .

ثم ينتقل ابن جبيرول ليصب جام غضبه على بني قومه من معاصريه الرافضين لحكمته المستهينين به وبشعره ، بأهل سدوم الخاطئين من قوم لوط ، فيقول :

לוּ כְצָרי הַזֶּה בְבית לוט יָדעו אנשי סדום התדפקו על דלת[٣٩]

لو كان مثل هذا البلسم في بيت لوط وعلم رجال سدوم لتدافعوا علي الباب

فقد وظف قصة قوم لوط وما عرف عنهم من جهل وجرم بأنهم لو سمعوا بشعره وما فيه من حكمة لهرعوا اليه وتزاحموا على بابه ليتعلموا من حكمته التي هي كالبلسم الشافي .

---

[٣٨] חיים נחמן ביאלק : שירי שלמה בן גבירול .כרך א . שירי חול . הוצאת דביר . ת .א.ברלין . תרפ״ה .עמ׳5 .

[٣٩] שירמן: השירה העברית בספרד ובפרובאנס , ספר ראשון , עמ׳ 171 .

٤– الرمز الشعبي :

نجد أن إقبال عدد من الشعراء اليهود في ا لأندلس على هذا اللون التراثي كبير جداً ، وربما يرجع هذا إما إلى الاعتزاز بمورثهم الثقافي المتمثل في نصوص العهد القديم، أو ربما يكشف عن خوف دخيل من انصهارهم كأقلية صغيرة في التيار العربي الكبير ؛ ولذا كان توظيف التراث الشعبي واستخدامه في الشعر يصبغه بلون شعبي خالص خاص بالطائفة اليهودية ؛ ولهذا شكلت الترانيم والأغاني الشعبيه اليهوديه التي زخر بها العهد القديم ركيزة أساسية في بعض قصائد الشعراء اليهود في تلك الفترة .

فقد" كان بنو اسرائيل يميلون –كغيرهم من شعوب الشرق الأدني القديم – إلى قرض الشعر والغناء، فقد ترك لنا الأدب العبري القديم بقايا أشعار شعبية، تشير إلى ردود فعل تلك القبائل تجاه أحداث مختلفة في مسيرة الحياة والمجتمع ، فيرد في أسفار العهد القديم بعض من الشعر العبري الذي يتميز بالايجاز والجمال" [٤٠].ومن تلك الصور ماورد في (سفر نشيد الأناشيد) الذي احتفظ بمجموعة من الأشعار الرائعة عن الحب والزواج والتي يعود معظمها إلى مرحلة قديمة جدا من حياة بني اسرائيل وإذا بيهودا اللاوي في العصر الوسيط وبعد مرور قرون عديدة يعيد توظيف بعضا من هذه الأشعار توظيفا جديدا وحول رموزه من رموز شعبية قديمة إلي رموز جديده تعبر عن حاضره فيقول:

דודי לדודי נצפנו	/	**אף הוא נתנני בבור**
לו מחשבותי נתנו	/	**אם אעבד או אעצור**
אליו עלילות נתכנו	/	**ישלח פדות או יעצור**
انظروا يا أصدقائي إلي حبيبي	/	**الذي تركني في المنفي**
استحوذ على كل أفكاري	/	**هل أعبد أم أتوقف**
وبيده أن يرسل	/	**الخلاص أويسجنني**

[٤٠] سعيد عطية مطاوع : الشعر في العهد القديم (الأغراض والسمات الفنية) ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد ٢٠ ، ٢٠٠٦ م ، ص ١٣.

فالشاعر هنا قد رمز للطائفة اليهودية بالحبيبة التي تعاني من الأسر وهى تجد عزاءها وسلواها في حبها وعذابه فهي تعاني من أجل الحبيب وهو رمز لإله بني اسرائيل الذي يعيش قي قلب طائفته المعذبة وجعل من المعاناة من أجل الحبيب سببا لتجميل الواقع الصعب الذي تعيشه الطائفة اليهودية وسببا وراء ارتباطها بالحبيب .فقد استعاض بالحب بين سليمان وشولاميت بعلاقة الحب بين الرب وطائفته فنقرأ في سفر (نشيد الأناشيد ٥ : ٥ –٦)

" קַמְתִּי אֲנִי לִפְתֹּחַ לְדוֹדִי וְיָדַי נָטְפוּ–מוֹר וְאֶצְבְּעֹתַי מוֹר עֹבֵר עַל כַּפּוֹת הַמַּנְעוּל :

פָּתַחְתִּי אֲנִי לְדוֹדִי וְדוֹדִי חָמַק עָבָר נַפְשִׁי יָצְאָה בְדַבְּרוֹ בִּקַּשְׁתִּיהוּ וְלֹא מְצָאתִיהוּ קְרָאתִיו וְלֹא עָנָנִי : "

"قمت لافتح لحبيبي و يداي تقطران مرا و اصابعي مر قاطر على مقبض القفل. فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول و عبر نفسي خرجت عندما ادبر طلبته فما وجدته دعوته فما أجابني ."

إن " للتراث الشعبي ميزة مهمة ؛ لأّنه تراث قريب حي، وحين يلجأ إليه الشاعر لا يحس أّنه مثقل بما في الماضي الطويل من خلافات ومشكلات ...والجاذبية في التراث الشعبي تكمن في أّنه يمثل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس من حوله، فهو بذلك يؤدي دور المسرحية إلى حد ما في إيقاظ الشعور القومي وإبقائه حيا ".[٤١]

ويقول يهودا اللاوي أيضا :

יצאתי לאישי	כמחול עולמות
ראני ידידי	ויחמדני
משך בעבותות	וילכדני[٤٢]

[٤١] إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر . ط ٢، دار الشروق، عمان، ١٩٩٢ ، ص ١١٨.

[٤٢] **براדי : שירי קדש , ספר שלישי , עמ׳ 81** .

خرجت للقاء حبيبي مثل رقص الصبابا

رآني حبيبي فاشتهاني

جذبني بأوصاله وضمني

تتوالي عند اللاوي تلك الصور التي تدور فكرتها حول ارتباط الرب بالطائفة اليهودية ووعوده لها بالخلاص وقد استوحى هذه الصور من العهد القديم وهناك صورة أخري رسمها للمخلص الذي يشبه صوته صوت البلابل والحمائم التي تبشر بمجئ الخلاص فيقول :

עורי לקול זמיר ותור כי עֵת פְּדוּתֵך קָרְבָה

יום מֵעַלְמות תֵיטיבי דרכך לבקש אהבה[٤٣]

تنبهي لصوت البلبل واليمامة لأن وقت خلاصك قد اقترب

يوم أن تُزين العذارى طريقك لطلب المحبة

استلهم اللاوي فكرته هنا مما جاء في سفر نشيد الأناشيد (٢: ١٢) : " **הנצנים נראו בארץ עֵת הַזָּמִיר הִגִּיעַ וְקוֹל הַתּוֹר נִשְׁמַע בְּאַרְצֵנוּ** " "ظهرت الزهور في الأرض، حل وقت العندليب وصوت اليمامة سُمع في أرضنا ". فاللاوي يعتمد كلية على تلك الصور الفنية التي وردت في العهد القديم ووظف ترانيم و أغاني سفر نشيد الأناشيد للتعبير عن علاقة الرب بشعبه وانتظارهم للخلاص.

كان الفلكلور الشعبي اليهودي الذي زخر العهد القديم بقصصه عاملاً أساسياً من العوامل التي دفعت هؤلاء الشعراء اليهود في الأندلس إلى التعّلق بالتراث .إذ كانوا على

---

[٤٣] חיים שירמן : עשרה שירים חדשים ליהודה הלוי , מחקרי ספרות מוגשים לשמעון הלקיו , בעריכת עזרא פליישר ,הוצאת ספרים ע״ש י״ל מאגנס , האוניברסיטה העברית , ירושלים ، תשל״ג עמ׳ 229 .

علم تام بنصوص العهد القديم وقصصه ثم صاروا يستخدمونها رموزاً تراثية فلكلورية بعد ذلك لتُعطي جواً من التجديد.

ومن تلك القصص الفلكلورية هي انتقام الرب من أعداء طائفته اليهوديه فكان يأمرهم بالاختباء حتى لا يحيق عذابه بهم ويقع على أعدائهم فقط فقد ورد في سفر اشعيا (٢٦ : ٢٠) "**חבי כמעט־רגע עד־יעבר ־זָעם** " أي اختبئ لُحيظة حتى يعبر الغضب ".لقد تأثر اللاوي بهذه الصورة فصاغها شعرا في ثوب جديد قائلا :

וחבי עד ־יעֲבר זעם רגע כִמעַט פן יקרך עת ופגע [٤٤]

اختبئ لحظة حتى يمر الغضب حتى لا يصيبنك أذى وقتها

في هذه الصورة كانت الفكرة الأساسية هى التمهل والتحلى بالصبر والحذر من الأعداء خوفا من أي بلاء يقع عليهم ، وحتى يشاهدوا ما يفعله الرب مع أعدائهم .

ومن الصور الفنية في توظيف القصص الشعبية التي وردت في العهد القديم أن الله هدد موسى عليه السلام بأنه إن أخطأ شعبه ، فإن الانتقام سيقع في الأحفاد ، لثلاثة أو أربعة أجيال ، وهذا حسبما جاء في سفر الخروج (٣٤ : ٦ – ٧) فيصوغ ابن جبيرول ذلك قائلا :

יום בוא נושה	**במו דין קשה**	
יצורים ירעיש	**ואותָם יגיש**	**לעשות בהם מִשפָט**
שדי מו֑רה	**לשלש עשרה**	
שקָל נָא פשע	**במ֑אזני ישע**	**ואל תבוא במשפט**[٤٥]
يوم مجئ الدائن	في حساب عسير	
سيُرعد الخلق	ويقدمهم	ليجري عليهم القضاء
أيها الاله المعلم	لثلاثة عشرة	
زن خطيئتنا	بموازين الرحمة	فلا تأتي بالقضاء

[٤٤] **براءدي : שם ، ספר שלישי , עמ' 138 .**

[٤٥] **שלמה אבן גבירול : שיר הקדש ، מאת דב ירדן ، ירושלים ، 1971 , כרך א עמ' 197 .**

لقد اعتمد ابن جبيرول هنا على معرفة المتلقى بنصوص العهد القديم وقصصه، فقد ورد في سفر الخروج (٣٤ : ٦ – ٧) ، أن الله هدد موسى عليه السلام بأنه إن أخطأ شعبه ، فإن إنتقامه سيقع في الأحفاد ، لثلاثة أو أربعة أجيال ، ولذا فقد استدعى الشاعر الماضي وربطه بالحاضر فأرجع ما يحدث له ولطائفته من ألم هو انتقام من الله، ولذا أخذ يبتهل إلى الله ويدعوه أن يكون رحيما بأولئك الأحفاد فلا يحملهم إثم الآباء .

كما لجأ بعض الشعراء اليهود في الأندلس إلى توظيف الأمثال الشعبية السائرة ذات الدلالة الموحية، مستغلين كلّ ما فيها من طاقات تعبيرية ؛ لشحن مضامينهم ومعانيهم، وتقوية إبداعهم ، يقول يهودا اللاوي :

וּבִי יָסַב צִיר כְּדֶלֶת עַל צִיר[٤٦]

فقد اعتمد اللاوي هنا على المثل الذي ورد في العهد القديم في سفر الأمثال "٢٦ : ١٤ " " **הדלת תסוב על מִטתו** " " الباب يدور على مفصلته والكسلان على فراشة ". فهو يربط حركة الكسول تماما بحركة الباب المربوط إلى مفصلته ، ويعني بذلك أن الكسول لا طموح لديه بل يتحرك في دائرة وقوفه دون تقدم .

وفي موضع آخر يقول اللاوي أيضا :

הן בעדך	**החליש כל ממלכת**
וגן שודדך	**בחוצות מִשְׁלכת**
ואת צעדך	**לא יצר מלכת**
من أجلك	أذل كل مملكة
وأجساد مغتصبك	ملقاة في الطرقات
أما أنت فخطواتك	لن تضيق من السير

[٤٦] **براءدي : שם ، ספר רביעי ، עמ׳** 72 .

يرمز هنا الي ما ورد في (سفر الأمثال ٤ : ١٢)" **בלכתך לא יצר צעדך** " اذا سرت فلا تضيق خطواتك .

ويقول ابن جبيرول :

מאור עיני נצר ושמר לשוני ואם אשגה לפניך סל יחה

لتحفظ عيناي وتصون لساني عفوا إن أخطأت أمامك

لستقي ابن جبيرول فكرته هنا من سفر الأمثال (٢١ : ٢٣) **שֹׁמֵר פִּיו, וּלְשׁוֹנוֹ-- שֹׁמֵר מִצָּרוֹת נַפְשׁוֹ**. من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه.

وهكذا يتضح أن شعراء العبرية في العصر الأندلسي كانو حريصين على استخدام تراثهم القديم وما يرمز إليه ,وأصبح هذا الاستخدام مادة أساسية نجدها في مختلف أشعارهم العبرية .

الخـــاتمـــة

ونخلص مما سبق إلى عدة نتائج نجملها فيما يلي :

١– أن الشعراء اليهود في الاندلس قد ارتبطوا بالتراث ارتباطاً عاطفياً وفكرياً وفنياً ، وحاولوا الإفادة منه بما يخدم تجربتهم الشعرية ويؤصلها، ولعلّ في طبيعة تجربتهم "الحياتية والوجدانية ما يفسر سر هذا الارتباط الوثيق بالتراث :فقد عاشوا – على المستويين الواقعي والوجداني –تجربة الغربة والتشرد والنفي منذ طفولتهم ، الأمر الذي وّلد في أعماقهم إحساساً قويا بعدم الرغبة في الاندماج في مجتمعات المنفى، حيث نشأوا فوجدوا أنفسهم دون وطن ...ودون أرض ...دون جذور ...دون هوية، وهكذاوجدوا أنفسهم وقد انقطعوا عن كل منابع الانتماء، وانبتوا عن كل الجذور والأصول ، فكان طبيعياً والأمر كذلك أن يتوقوا إلى الانتماء إلى أية جذور، والارتباط بأية أصول، وقد وجدوا في موروثهم على المستويين التاريخي والفني الأصول التي ينشدونها ويتكئون عليها .

وثمة عوامل أخرى جعلتهم يتعلقون بالتراث ويتلذذون به منها

أ– اهتمامهم منذ الصغر بقراءة التوراة و القرآن الكريم حيث يعيشون في بيئة عربية أولت القرآن الكثير من الاهتمام .

ب – عيشهم في بيئة تاريخ الأندلس حيث الثقافة في أوجها في مختلف العلوم .

ج– إعجابهم بالشعراء القدامى والإفادة منهم .

٢– أن الشعراء اليهود قي الاندلس مسكونون بالتراث، فقد عاشوا فيه وحاولوا إحيائه بصور شتى . واشتملت قصائدهم على رموز تراثية متعددة شكلت بنية القصيدة عندهم ، وجسدت تجربتهم الشعرية بعمق .ولم تكن تلك الرموز مجرد ملصقات على جسد نصهم الشعري، بل كانت الأصل الذي بني عليه بكامله .ومثل هذا الاستخدام

الدقيق للموروث يدلّ دلالة واضحة على سعة ثقافة الشعراء من جهة، ومقدرتهم العالية في التعامل مع موروثهم بآليات ناجحة متعددة من جهة أخرى ؛ محققين بذلك غايتين نفعيتين متداخلتين :أصالة الانتماء ، وابتكار الذات.

وعليه فقد عد شعرهم "نقطة مضيئة ومتميزة في تطور أشعارهم ليس باعتبارأشعارهم مجرد تطور شكلي لتجربة الرواد دوناش بن لبراط ، واسحاق بن خلفون وغيرهم ، وإّنما إضافة نوعية شعرية جديدة أضيفت إلى مجمل التجربة الشعرية للشعراء اليهود في الأندلس في مجال التطور البنائي والدلالي للقصيدة العبرية في ذلك العصر ، وأيضا في مجال تحديث طبيعة الخطاب الشعري العربي، بحيث يمكن القول بأن هؤلاء الشعراء فلان وفلان قد مثلوا مرحلة ازدهارا حقيقيا في التجربة الشعرية العبرية.

المراجع والمصادر

أولا : مراجع باللغة العربية:

أحمد مجاهد :

١- أشكال التناص الشعري : دراسة في توظيف الشخصيات التراثية , ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998 .

إحسان عباس :

٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر . ط2 ، دار الشروق، عمان ، 1992 .

٣- فن الشعر . ط1 ، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، 1996 .

حسن حنفى :

٤- التراث والتجديد .ط1 ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1981 .

سعيد عطية مطاوع :

٥ - الشعر في العهد القديم (الأغراض والسمات الفنية) ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد ٢٠ ، ٢٠٠٦ م .

عبد الرازق أحمد قنديل :

٦- شعراء العبرية في الأندلس ج١ ، ٢٠٠٨م .

عبد الله التطاوي :

7- المعارضات الشعرية : أنماط وتجارب . دار قباء ، القاهرة ، 1998 .

عز الدين إسماعيل :

٨- توظيف التراث في المسرح"، فصول، المجلد الأول، العدد الأول، سنة 1980.

٩- - الشعر العربي المعاصر :قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية .دار الثقافة , بيروت، 1972 .

علي عشري زايد : .١٠

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 ، دار الفكر ، العربي، القاهرة ،1997 .

١١- عن بناء القصيدة العربية الحديثة .دار الفصحى، القاهرة، 1978 .

فهمي جدعان :

١٢- نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى .ط1 ، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥ .

محمد خليفة حسن :

١٣- دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥.

محمد فتوح أحمد :

١٤- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر . ط3 ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٤.

ثانيا : المراجع العبرية

אהרון בן אור (א , אורינובסקי) :

١- תולדות השירה העברית בימי - הביניים , הוצאת ספרים יזרעאל , ת- א ، 1954 .

דב ירדן :

٢– דיואן שמואל הנגיד . בן תהלים . ירושלים . תשכ״ן .

٣– שירי הקדש לרבי שלמה כרך שני רשות מס 146, הוצאת שנית בתוספות ותקונים , ירושלים , תשמ .

דוד כהנא :

٤– – קובץ חכמת הראב , הוצאת קדם , ירושלים , 1971 ، שיר " לד.

חיים בראדי :

٥– ספר כולל כל שירי אביר המשוררים יהודה בן שמואל הלוי , דיואן , שירי קדש , חברת מקיצי נרדמים ברלין , תר״ץ , ספר רביעי 6.

٦– ספר כולל כל שירי אביר המשוררים יהודה בן שמואל הלוי , דיואן , שירי קדש , חברת מקיצי נרדמים ברלין , תר״ץ , ספר שלישי.

חיים נחמן ביאלק :

٧– שירי שלמה בן גבירול .כרך א .ל . הוצאת דביר . ת .א.ברלין . תרפ״ה .

חיים שירמן

٨– אברהם אבן עזרא , חייו ושירתו , הוצאת הקיבוץ המאוחד، 1976 .

٩ – השירה העבר ית בספרד ובפרובנס ,ספר ראשון , דביר, תלאביב , .1954

١٠ – עשרה שירים חדשים ליהודה הלוי , מחקרי ספרות מוגשים לשמעון הלקיו , בעריכת עזרא פליישר ,הוצאת ספרים ע״ש י״ל מאגנס , האוניברסיטה העברית , ירושלים ، תשל״ג .

١١– שירת– הַקוֹדש של אברהם אבן עזרא , כ ، ב ، שיר איזור 454 .

משה אבן עזרא :

١٢– אלמחצ׳רה ואלמד׳אכרה מתורגם לעברית מאת הלקין בשם ספר העיונים והדיונים , ירושלים , תשל״ה

שלמה אבן גבירול :

١٣– שירי החול , חיים בראדי , חיים שירמן , ירושלים , 1874.

١٤– שירי שלמה בן גבירול ، כרך שני . שירי קופס . הוצאת דביר ،ת״א ، תרפ״ה .

שמואל הנגיד :

١٥– בן קהלת , מה״ש , אברמסון , ת״א , תש״ג , שיר פ .